سُبُل

مجلة دورية تصدر عن مؤسسة رواق

تحديات فرضها الطوفان: ما العمل؟

العدد الثاني والعشرين - شتاء 2025

المحتوى

4 افتتاحية العدد العشرين:تحديات فرضها الطوفان: ما العمل؟

6 أيّ أشكال القوة تغلب؟ عن تفسير واقعنا وسؤال العمل والأمل
محمد عماشة

15 طوفان الأقصى: عن أي موقع للفرد العربي من المعادلة؟
عمر عابدين

22 الإسلاميون ما بعد الطوفان وردع العدوان: مسارات إستراتيجية في إقليم قيد التشكل
عمار فايد

30 طوفان الفرص.. في عصر جديد للشعوب
أ. م. (كاتب مصري وراء القضبان)

35 الأنظمة العربية وتداعيات طوفان الأقصى
أحمد مولانا

43 الحراك في الدول الغربية: خرائط التنوع وإمكانية التعاون
بلال هشام

كتاب العدد

رئيس التحرير
محمد عباس

أحمد مولانا

باحث في الشؤون السياسية والإستراتيجية

عمر عابدين

بكالوريوس فى قسمي السياسة والعلاقات الدولية وعلم الاجتماع من جامعة مرمرة، وحاصل على ماجستير في علم الاجتماع من معهد الدوحة للدراسات

عمار فايد

طالب دكتوراه قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية بجامعة إسطنبول أيدن، تتركز أبحاثه على الدولة والجغرافيا السياسية في الشرق الأوسط.

محمد عماشة

باحث في علم الاجتماع

بلال هشام

طالب ماجستير اقتصاد سياسي بجامعة هامبورج في ألمانيا
خريج أقسام علوم سياسية وعلاقات دولية، واقتصاد، وعلم الاجتماع من جامعة مرمرة بتركيا
مهتم بالاقتصاد السياسي، والحركات الاجتماعية، والجيش والسياسة

أ. م.

(كاتب مصري وراء القضبان)

تحديات فرضها الطوفان: ما العمل؟

حمل الطوفان معه مفاجآت عديدة للجميع، حتى من بدأوا هذا الحراك المبارك، أعلنوا غير ذات مرة أنهم لم يتصوروا أن يكون اجتياز الطوق الذي أقامه الاحتلال؛ والدخول كيلومترات عديدة داخل الأراضي المحتلة بهذه السهولة.

منذ السابع من أكتوبر 2023 والأحداث تتسارع، ورقعة الصراع تتسع، وأطراف أكثر تنخرط في المواجهة كثيرون يسعون لمعرفة ما يحدث الآن على الأرض، ليس فقط في غزة ولبنان، بل في مضيق باب المندب أيضا، وفي ساحات الجامعات الغربية، وفي أروقة محكمة العدل الدولية، وليس آخرا في مدرجات مباريات تشارك فيها فرق الاحتلال!

إن سؤال: "ما الذي يحدث؟" مهم، ولا يختلف اثنان على ذلك، لكننا مع تعرضنا لسيل يومي من الأخبار والتحليلات، ينبغي أن نقف مع أنفسنا ونسأل: ما الذي (سـ)يحدث؟ ما الذي يجب أن نسعى إليه ليتحقق على أرض الواقع؟

بعبارة أخرى، في العلوم الاجتماعية يمكن تصنيف العبارات إلى وضعية (Positive) ومعيارية (Normative)، تسعى الأولى لمعرفة ما الذي يحدث على أرض الواقع، في حين أن الثانية تتوجه لمعرفة ما الذي ينبغي أن يحدث، وهو ما نسعى إليه في عددنا الحالي. نسعى إلى ذلك على أصعدة مختلفة؛ بهدف رسم ملامح خارطة طريق (Roadmap) لكيفية تعاملنا وتفكيرنا خلال الفترة القادمة.

يبدأ العدد بسؤال طالما أرق الجميع وهو

سؤال القوة؛ يستعرض محمد عماشة أشكال القوة الأربعة طبقا لنظرية "مايكل مان" وهي: الثقافية، والاقتصادية، والسياسية، والعسكرية. ثم يوضح لنا أن كل ما سبق هو القوة الهيكلية، لكن ثمة بُعدان آخران للقوة، هما: الخطابية والأدائية، وبعد شرح ما هما؟ وكيف يؤثران على واقعنا؟ يختتم المقال بكيف يمكن لنا أن نقلب موازين القوة؟
ينتقل عمر عابدين بعدها إلى نقاش سؤال غاية في الأهمية: ما هو موقع الفرد العربي من المعادلة؟ هل هناك أمور باستطاعتنا -نحن الأفراد- فعلها لتغيير الواقع؟
بعدها ننتقل مع عمار فايد ليحدثنا عن التحديات الإستراتيجية التي تواجه الحركات الإسلامية، وما هي الأسئلة الجديرة بالدراسة والبحث خلال المرحلة القادمة؟ بعدها أردنا أن نحاول التحليل من منظور مختلف، وهو كيف ستفكر الأنظمة السلطوية في تداعيات طوفان الأقصى؟ لنعرف فيما تفكر وكيف لنا أن نتحرك. في هذا السياق يعرض مقال أحمد مولانا لهذه النقطة.
علامة أخرى مميزة من بركات الطوفان، وهو الحراك الذي شهدته الدول الغربية؛ وبخاصة في الجامعات. لفهم أعمق لتنوع خارطة المشاركين في هذا الحراك ومدى إمكان التعاون مع مكوناته، انطلق قلم بلال هشام حول هذه النقطة ينير لنا الطريق ويوضح التنوعات الأيديولوجية؛ لندرك دوافعها إدراكا أعمق؛ لتحديد كيفية التعاون معها مستقبلا. ثم يختتم العدد بمقال للكاتب أ. م. وهو كاتب مصري من وراء القضبان، يعرض إجمالا وبنظرة هي أقرب لنظرة النسر الشاملة من أعلى؛ للإمكانات والفرص التي طرحها الطوفان أمامنا، وكيف يمكن لنا الاستفادة منها؟
هذا العدد عزيزي القارئ ما هو إلا محاولة متواضعة لفهم ما الذي ستشهده منطقتنا خلال الفترة القادمة، وكيف لنا -أفرادا ومجموعات- أن نسهم في التغيير الذي نطمح إليه منذ عقود، والله ولي التوفيق.

أيّ أشكال القوة تغلب؟
عن تفسير واقعنا وسؤال العمل والأمل

أيّ أشكال القوة تغلب؟ عن تفسير واقعنا وسؤال العمل والأمل

محمد عماشة

باحث في علم الاجتماع

”الحق أقوى سلاح في وش الدبابات“

أغنية ”مكملين“، فبراير 2012

”الحق بدون القوة باطل وملوش نصير“

أغنية ”فرعون لسة بيحكم“، نوفمبر 2014

لماذا لم نستطع وقف الإبادة الجماعية لأهلنا في فلسطين، فضلًا عن تحريرها من الاحتلال الغاصب؟ لماذا استطاعت ثورة يناير في مصر إسقاط مبارك ثم لم تصمد كثيرًا؟ لماذا استطاعت ثورة الياسمين في تونس أن تحافظ على بعض مكتسباتها من الحريات عدة سنوات ثم استطاع سعيّد الإجهاز عليها؟ لماذا احتاجت الثورة السورية أن تدفع كل تلك الأثمان الباهظة، ولمَ استطاعت -أخيرًا- أن تسقط نظام الأسد؟ لا تختلف تلك الأسئلة كثيرًا عن سؤال النهضة؛ الذي عبر عنه عبد الله النديم بعنوانه المتسائل “بم تقدموا وتأخرنا والخلق واحد؟” كلها أسئلة لتفسير واقع يسومنا سوء العذاب، أو آخر قد ينتشلنا من هذا العذاب، علّنا نجد في تجارب ”النجاح“ و”الفشل“ بعض أجوبة على سؤال العمل في سبيل تحقيق ما نرجوه.

تقدم نظريات القوة أدوات تحليلية قد تساعدنا في هذه العملية، خاصة وأن النقاش حول سؤال العمل كثيرًا ما يثير قضية القوة: هل فعلاً "الحق أقوى سلاح في وش الدبابات" أم أن "الحق بدون القوة باطل وملوش نصير"؟ هل القوة الاقتصادية أساس كل أشكال القوة؟ وهل يمكن للضعيف أن ينتصر على القوي رغم موازين القوة غير المتكافئة؟ نناقش تلك الأسئلة فيما يلي.

مصادر القوة الأربعة: أيها تغلب؟

في كتابه الشهير "مصادر القوة الاجتماعية" بمجلداته الأربعة التي يتناول فيها التاريخ السياسي للعالم، يقول "مايكل مان" إن هناك أربعة مصادر رئيسة للقوة: القوة الثقافية، والاقتصادية، والسياسية، والعسكرية.[1] مصادر القوة تلك وسائل تنظيمية يمكن للفاعل السياسي أن يستخدمها لتحقيق أهدافه. تتمثل القوة الثقافية (أو الأيدولوجية، بمعناها الواسع الذي يشمل كل عالم الأفكار) في امتلاك أدوات التأثير في معتقدات الناس وما يرونه صوابًا وخطأً أو حسنًا وقبيحًا. وتأمين مصادر القوة الثقافية يكون ببناء بنية تحتية؛ يمكن من خلالها نقل الأفكار إلى الناس وتثبيتها في الصدور، كأن يكون أصحاب فكرة ما موجودين بين الناس أو بين أصحاب النفوذ وينشرون أفكارهم وسردياتهم، أو لهم سيطرة على ما يُعَلَّم في المدارس والجوامع والكنائس، ويُكتب في الكتب ويُنشَر

[1] Mann, Michael. 2012. The Sources of Social Power: Volume 1, A History of Power from the Beginning to AD 2 .1760nd ed. New York: Cambridge University Press.

في الصحف، أو يُبث في الراديو والتلفاز والإنترنت.

أما عن القوة الاقتصادية، فتنبع من ضرورة علاقات الإنتاج والتوزيع والتبادل والاستهلاك؛ لسد حاجات الإنسان الضرورية والتحسينية من مأكل وملبس ومسكن وتعليم وترفيه، إلخ. أيّ أن القدرة على المشاركة أو السيطرة على تلك العمليات تكسب المرء قوة اقتصادية، وبقدر السيطرة على الموارد وما يمكن إنتاجه وكيفية الإنتاج وقواعد التجارة والتوزيع والاستهلاك والتوظيف؛ تزداد القوة الاقتصادية. والشبكات الاقتصادية غالبًا ما تكون ممتدة وعابرة وفيها اعتماد متبادل: فالعامل وصاحب العمل معتمدان على بعضهما، والأقوى هو من يمكنه الاستغناء عن الآخر؛ وسهل عليه إيجاد بديل، فالدول المستوردة للغاز -مثلا- تعتمد على الدول المصدرة، كما تعتمد تلك الدول المصدرة على عائدات التصدير، والدولة ذات المصادر المتعددة أقدر على الاستغناء عن هذه التجارة؛ والمستهلك والشركة معتمدان على بعضهما، إلا إن وجدا بديلًا أو استغنى المستهلك عن المنتج، وهكذا. وبسبب هذه العلاقة المتشابكة نرى ارتهان بعض الدول اقتصاديًا بشروط الجهات مانحة القروض، وبعض الدول أقدر على فرض عقوبات على غيرها بما يهدد حاجات الناس الأساسية، أو قدرة الشركات على التنقل حيث العمالة الرخيصة. ونرى أيضًا إضرابات عمالية أو حملات مقاطعة ودعوات لسحب استثمارات وفرض عقوبات؛ والتي يمكنها إرسال رسائل سياسية ضرورية إن تمت بشكل منظم.

والقوة السياسية تُحصّل بالسيطرة على الدولة وما فيها من مؤسسات مركزية؛ يمكن من خلالها توجيه المجتمع وموارده إلى الاتجاه المرغوب. والقوة السياسية قد تكون داخلية

تسن قوانينَ وتطبقها في حيّز سيطرتها، أو خارجية تدير علاقات مع دول أخرى أو مجموعات خارج حدودها. وكلما كان للمرء دور في صناعة القرار داخل أجهزة الدولة التنفيذية أو التشريعية أو القضائية؛ زادت قوته السياسية. وأخيرًا، فإن القوة العسكرية تتمثل في وجود مجموعات مقاتلة وما تمتلك من مهارات قتالية ومعدات عسكرية وأسلحة. وكلما زاد عدد المقاتلين ومهارتهم ومعداتهم وأسلحتهم؛ زادت قوتهم العسكرية.

يبقى السؤال المهم: أي مصدر من مصادر القوة تلك يغلب؟ أيها أكثر تأثيرًا في تقرير مصير الصراعات؟ شغل هذا السؤال كثيرا من علماء الاجتماع والسياسة في نقاش مع الماركسية الكلاسيكية؛ التي أكدت غلبة القوة الاقتصادية، أو الواقعيين الذين أكدوا غلبة القوة العسكرية في العلاقات الدولية، وكُتب في "الاستقلال النسبي" لكل مصدر من مصادر القوة ما يتعذر جمعه هنا. وخلاصة "مايكل مان"-وهو ما أحسبه المستقر الآن في النظرية الاجتماعية-أنه لا حتمية اقتصادية، أو عسكرية، أو سياسية، أو ثقافية، وأن كل تلك القوى تؤثر في بعضها.[2] كما أن امتلاك أحد أنواع القوة يمكن استخدامه لامتلاك أنواع أخرى. وقد تتغلب قوة ما على أنواع القوة الأخرى في بعض الأحيان، غير أن هذا ليس قانونًا مضطردًا في كل زمان ومكان.

وحرب الإبادة على غزة اليوم تُرينا كيف للتفوق العسكري أن يمضي دون أي رادع. فلم تكن الغطرسة الإسرائيلية اليوم ممكنة إن لم يتوفر لها دعم اقتصادي وعسكري؛ يسمح لها باستيراد الأسلحة دون أن يعيش الإسرائيليون أوضاعا اقتصادية خانقة، ودعم سياسي يسمح لها أن تعربد دون أي تبعات حقيقية، وقوة ثقافية تمتلكها لوبياتها وأنصارها في قلب الإمبراطورية التي تدعمها. والحديث عن الثورة السورية بوصفه دليلا قاطعا على نجاعة الخيار المسلح يغفل السياق الإقليمي والقوة السياسية التي صحبت القوة العسكرية؛ من أجل منع حلفاء الأسد أن يتدخلوا، وقد كانت تدخلات هؤلاء الحلفاء (والحلف قوة سياسية) أصل تفوق النظام العسكري على الثوار سابقًا. وقد يكون الصراع العسكري أقدر على التغيير الجذري. لكن هذا إن نجح، ونجاحه ذو تكلفة باهظة. لكن اللجوء إلى القوة العسكرية صعب أن تخبو جذوته في ظل أنظمة استئصالية إبادية مجازرية. فالمجازر قد ترهب البعض، لكنها تحث آخرين على الدفاع عن أنفسهم بنفس أدوات القمع، وتورث ثاراتٍ قد لا تنتهي إلا بما يراه الضحية قصاصًا، ما دام القانون لا يعطي الناس حقوقهم، ومنطقتنا ليست استثناءً في هذا.[3]

[2] Mann, Michael. 2012. The Sources of Social Power: Volume 4, Globalizations, 2011–1945. New York: Cambridge University Press. (Chapter 13, section on "The Question of Primacy")
[3] Hendawy, Abdallah. 2022. Bleeding Hearts: From Passionate Activism to Violent Insurgency in Egypt. Lanham: Lexington Books; Wieviorka, Michel. 2009. Violence: A New Approach. Los Angeles: SAGE Publications Ltd.

أبعاد القوة الثلاثة: كيف نُفسّر واقعنا؟

يمكن تفسير الهزائم والانتصارات والأحداث والأفعال السياسية بالنظر في موازين القوى بين الأطراف المختلفة؛ وقدرتها على تسخير ما تملكه من أدوات القوة التنظيمية للدفع نحو ما تبغاه (أو ما يمكن تسميته بالقوة الهيكلية). ويستلزم هذا النظر في خرائط القوة بأنواعها الأربعة التي يملكها كل فريق. لكن هذا غير كافٍ. فموازين القوى أو القوة الهيكلية هي بُعد واحد فقط من أبعاد القوة التي يمكن تفسير الواقع بها. بمعنى أن عدم التكافؤ في امتلاك أدوات تنظيم القوة العسكرية والاقتصادية والسياسية والثقافية هو بُعد واحد لتفسير واقعنا، ويتشابك مع بُعدَين آخرَين: الخِطابي والأدائي.[4]

تكمن القوة الخطابية في أن المفردات التي يفكر بها الناس تؤثر في أفعالهم. فليست الإبادة الجماعية نتيجة حتمية للتفوق الصهيوني في موازين القوة، بل أيضًا نتيجة لتصوراتهم وتصورات داعميهم العنصرية عنّا باعتبارنا "حيوانات بشرية" و"إرهابيين"، حتى أطفالنا. ولو كانت موازين القوة فقط ما تحدد الفعل، لكانت الإبادة نتيجة كل صراع بين القوي والضعيف. والواقع غير ذلك، لأن أخلاق الحروب التي أرستها الثقافات والأديان والأعراف الدولية مثلا؛ تجعل المحارب يفكر في الخصم بمفردات تفرق بين الحربي وغير الحربي، أو العسكري والمدني. ولو كانت موازين القوة فقط ما تحدد الفعل، لما شهدنا مقاومةً ضد مستعمر تفوق قوته قوة أهل البلاد. والواقع غير ذلك، لأن من يرى نفسه "صاحب الأرض والحق" وعدوه "محتل" "مستعمر" "باغٍ"، ويرى في فعله "مقاومة" أو "جهادًا" و"شهادة" يتجاوز فعله موازين القوى. فلتلك المفردات أو الخطابات دورٌ مهم في تشكيل أفعالنا؛ إذ تشرعن بعض الأفعال وتكبِت أخرى، وفي ذلك تكمن قوتها.

أخيرًا، فالواقع يتأثر أيضًا بما يسمى بالقوة الأدائية. وتنبع القوة الأدائية من التأثير اللحظي لفعل ما في موقف محدد بشكل

[4] Reed, Isaac Ariail. 2013. "Power: Relational, Discursive, and Performative Dimensions." Sociological Theory 218–193:(3)31. doi: 0735275113501792/10.1177.

يغير مشاعر الناس وتوقعاتهم؛ ويحدو بهم نحو فِعلٍ ما كان مخططًا له من قبل. مثالٌ على هذا: قصص الناس غير المُسيّسة التي قررت الالتحام بالثورة عفويًا؛ بعدما شهدت مناظر المظاهرات المهيبة وهم ينادون "يا أهالينا انضموا لينا". وإسقاط نظام بشّار في الحملة الأخيرة نجح إلى حد ما بسبب توقيته المباغت والملائم إقليميًا؛ ونجاحاته الخاطفة التي أقنعت الثوار بالتقدم إلى دمشق، وأقنعت باقي الفصائل بالانضمام إلى القتال، وأقنعت داعمي بشار الدوليين أن التدخل مقامرة خاسرة (رغم تفوقهم العسكري على الثوار بالطائرات التي كان لها الدور الأكبر في خسارة الجولات السابقة). ولفهم خصوصية القوة الأدائية يمكن المقارنة بين القصف الصهيوني على المستشفى المعمداني أول الحرب، الذي أثار دهشة الناس واستنكارهم لعدم توقعهم تلك الهمجية بشكل أدى بإسرائيل إلى أن تنكر فعلها، وقصفها مستشفى كمال عدوان مؤخرًا دون أن يستدعي ذلك دهشة أو استنكارًا واسعًا بعدما اعتاد الناس ذلك. فخصوصية القوة الأدائية تكمن في قدرتها على أن تهز الناس وتدهشهم. والمناشدات التي يطلقها أهلونا في غزة محاولة لاستخدام تلك القوة، وكان لها دور في اشتعال انتفاضة الطلاب. ولا نستصغر دور الأغاني والفن، ففي قوته الأدائية تثبيت عميق لخطابات المقاومة التي تشحذ النفوس لرفض موازين القوى القائمة. وضبط نتيجة أداءٍ ما شديد الصعوبة وقد يستحيل؛ لأنه معتمد على المؤدي والجمهور معًا. وما زالت الأبحاث تحاول أن تدرس الخليط الذي يمكنه أن يُنشئ أداءً مؤثّرًا[5] يمكِن للضعيف أن يستخدمه في نضاله لقلب ميزان قوة ليس بصالحه!

[5] See: Stuart Brundage, Jonah. 2023. "Representation and Recognition: State Sovereignty as Performative." American Journal of Sociology 5)128). doi: 724674/10.1086.

كيف يمكن قلب موازين القوة؟ عن الأمل والعمل

هل يعني عدم تكافؤ موازين القوة أنه لا أمل مُطلقًا في انعتاق الضعيف من ظلم القوي؟ لا، وإلا لظل أصحاب القوة منذ الأزل لا يتغيرون. بل هناك دومًا أمل أن تتغير موازين القوى، ولو ببطء. ذلك لأنه لا يوجد نظام مهما بلغ قمعه قادر على السيطرة المطلقة على كل أشكال القوة بما لا يترك للضعيف مساحات يمكن استثمارها. فنظام الأسد بكل شموليته وقمعه لم يستطع أن يُرهب طفلًا لكيلا يكتب "أجاك الدور يا دكتور" بعدما رأى الثورات العربية تَتْرى، ولا أن يقنعه أن حياته زهرية ليس فيها ما يستحق الاحتجاج. لا يوجد نظام قادر على السيطرة المطلقة على مواطنيه سواء بالقمع العسكري، أو الهيمنة الثقافية، أو الترغيب والترهيب الاقتصادي، أو الضبط السياسي. ضف إلى ذلك أنه لا يوجد نظام قادر على السيطرة المطلقة على العالم كله، حتى إمبراطورية "القطب الأوحد". ولو كان هذا هو الحال لما كان أهل فلسطين يقاومون حتى اليوم. وما دام هناك متسع لتطوير قوة خارج مناطق سيطرة القوي، فهناك دومًا إمكانية للضعيف لتغيير موازين القوة. الأمر الآخر الباعث للأمل في إمكان قلب موازين القوة: عدم الرضوخ لخطابات القوي ومفرداته. فليست الثورات ولا المقاومة ولا المطالبة بالحقوق "إرهاب" ولا "خروج على الحاكم" ولا "مؤامرات خارجية". ولا

يمنـع نقدنـا الداخلـي رفضنـا للخطابـات الاستشـراقية العنصريـة؛ التـي لا تـرى في تاريخنـا إلا الشـر وترانـا "غيـر مؤهليـن للديمقراطيــة". وقــدرة قــوة الأداء علــى تجـاوز موازيـن القـوى أحيانًا باعـث آخر على الأمـل، لأنهـا إمـا قـادرة علـى حسـم معـارك فـي لحظـات حرجـة؛ أو أن تراكمها مرشـح أن يغيـر موازيـن القـوة رويـدًا رويـدًا. لكـن الأمـل النظـري القائـم علـى إمكانيـة تغييـر موازين القـوة لا يعنـي حتميـة تحققـه. فلا تغييـر دون عمـل حثيـث للتغييـر.

مــا العمــل، إذًا؟ إن كانــت مصــادر القــوة الثقافيــة والاقتصاديــة والعســكرية والسياســية لا غلبــة مطلقــة لأحدهــا علـى الآخـر فـي كل زمـان ومـكان، وإن كان الواقــع يتشــكل بأبعــاد القــوة الهيكليــة والخطابيــة والأدائيــة، فالعمــل علــى كل تلـك الجبهـات ضـروري لأي تحـرر منشـود. أي أنـه ليـس لسـؤال العمـل إجابـة واحـدة قاطعـة. وواجبنـا الشـخصي هـو أن نسـهم بمـا نتقنـه، أو أن نـرى ثغـرًا نقـف عليـه، وأن تتكامـل جهودنـا، وألا يخـذّل أو يخـوّن أحدنـا الآخـر ولـو اختلفنـا وتجادلنـا. فلا يمكننـا مهمـا جمعنـا مـن بيانـات وطورنـا مـن نظريـات التنبـؤ التـام بنجـاح أو فشـل إسـتراتيجية مـا فـي نيـل الغايـة. والميـدان واسـع، والاحتيـاج شـديد، ولا تـدري نَفْـسٌ أي جهـد قـد يكـون القشـة التـي تقصـم ظهـور أنظمـة الجـور التـي ملأت أرضنـا، ولا تـدري نفْـسٌ أي بـذرة قـد تتفتق بمسـتقبل أكثـر حريـة وكرامـة وعدالـة لنـا جميعًـا.

طوفان الأقصى: عن أي موقع للفرد العربي من المعادلة؟

طوفان الأقصى: عن أي موقع للفرد العربي من المعادلة؟

عمر عابدين

بكالوريوس فى قسمي السياسة والعلاقات الدولية وعلم الاجتماع من جامعة مرمرة، وحاصل على ماجستير في علم الاجتماع من معهد الدوحة للدراسات

وُصفت عملية طوفان الأقصى بأنها "أكبر هجوم" للمقاومة الفلسطينية على الكيان الصهيوني، أو بالأحرى، الاستعداد الأقوى لاستعادة الأراضي المحتلة. وعلى نفس الغرار، وصفت مصادر أخرى تبعاتها المرتقبة بأنها الحدث الذي قد يؤدي إلى انهيار الإستراتيجية الإسرائيلية تجاه قطاع غزة. توسّطت الحرب الدائرة منذ السابع من أكتوبر من العام اللاحق وحتّى يومنا هذا أحداث عدة على المستويات: العسكرية والسياسية والإنسانية، بينها جميعًا تفاعل، والكثير من العرب والمسلمين ومناصري قضايا التحرر ورافضي سياسات الاستيطان مع الحدث باعتباره الممثل في اللحظة الراهنة لما يُمكن أن يكون إنسانيا وحرا.

كان لطوفان الأقصى تأثير كبير على الأفراد والمؤسسات والجماعات في مختلف بقاع العالم العربي والإسلامي والدولي. تفاعل الفرد العربي مع الحدث باعتباره يُعبّر عن هوية عربية مسلمة، إذ يحمل جانبين: الأول ثقافي والثاني ديني. تراوحت أشكال التفاعل لدعم بقاء الفلسطينيين أو الغزيين من خلال المجال الافتراضي والآخر الفعلي، خصوصًا في البلدان التي تركت لهم مساحة للتعبير عن الرأي. وتُعد الكيانات المنظمة وغير المنظمة فاعلاً آخرًا، يحمل طابعًا أكثر جمودًا وأقل تأثيرًا في اللحظة الحالية. هذا بخلاف الفاعلين المنظمين الفعليين على الأرض، أي ممارسي فعل الحرب والمقاومة والمفاوضات من أجل الوصول إلى حلول محتملة، وعلى رأسهم حركة حماس، وجناحها العسكري. على المستوى الدولتي، حكمت النبرة الدبلوماسية لغة ونمط التفاعل مع قضية الفلسطينيين، إذ عُقدت مؤتمرات يُشارك فيها زُعماء دول إقليمية مثل مصر والأردن والسعودية وتركيا لرفض الظرف الإنساني الواقع على الإنسان الغزي، فيما قادت دول أخرى مفاوضات على فترات متفرقة لوقف الحرب والوصول إلى هدنة.

ما نتناوله الآن هو سؤال الكيفية التي تفاعل من خلالها الفرد العربي وغير العربي مع الأزمة، كما نتطرق إلى مشروع الفرد العربي في المستقبل وموقعه من القضية الفلسطينية. أي بعبارة أخرى، كيف يُمكن فهم فاعلية الناس العاديين مع قضية تحرر إنسانية، وكيف يُمكن أن تختلف أنماط تموضعهم داخل مسرح الحدث في المستقبل المنظور.

حراك متعدد الأبعاد

بدأ الحراك الشعبي منذ اليوم الأول من إعلان كتائب القسّام عن عملية مُوسّعة على غلاف غزة، ثم ما تبعه من حرب مُوسّعة على قطاع غزة. كانت الأيام واللحظات الأولى مُربكة لبعض الدول العربية في كيفية التعامل مع الأزمة، والأهم، إدارة الثورة الإنسانية لشعوبها الداعمة لأصحاب الأرض والمقاومة. واتجه الفرد العربي الداعم إلى

منصات التواصل الاجتماعي بوصفها أحد أشكال الدعم البديل، لنشر أخبار ومعلومات تُسهم في تكوين الرأي العام، ولمقاومة الرقابة المفروضة على المجال الفعلي، الذي كان فضاء للتفاوض على فترات متفرقة من الطوفان، إذ خرجت تظاهرات في عدة عواصم ومدن عربية وعالمية، مثلت صوت الغزي، ورفضت ممارسات الكيان الصهيوني.

كما أنها أكدت على الاستحقاقية التاريخية للفلسطينيين. وبجانب ذلك كان هناك حراك استهدف الشركات العالمية الداعمة ماديًّا وعسكريًّا، من خلال تدشين حملات مقاطعة واسعة أدت إلى خسائر مالية تستمر إلى اليوم.

إضافة إلى ذلك، ظهر نشاط المحتوى المرئي والمسموع، الذي يحاول الدمج بين المناصرة والتوعية وتوضيح بعض الحقائق التاريخية التي تدعم الفلسطينيين خارجيًّا وداخليًّا. وهذا إجمالا هو مجهود الأفراد؛ الناتج عن شعورهم بأنهم جزء من هذه القضية، كما تعظّم ذلك على المستوى الفعلي والشعوري؛ بفعل تأثير أحداث طوفان الأقصى والدعم الأمريكي غير المحدود عسكريًّا والعربي دبلوماسيًّا.

موقع الفرد العربي من الطوفان ومستقبل التأثير

أرى أنه ثمة إمكانات غير مُستثمرة إلى الآن لدعم القضية الفلسطينية، وهي التي ترتبط ارتباطا مباشرا بسؤال موقع الفرد العربي من الحدث، بعيدًا عن تمثُّل الأنظمة العربية اليوم وفعلها.

شعبيًّا، كثير من أبناء الجيل الأصغر عُمرًا والأقل خبرة، لا يعرفون إلّا القليل عن تاريخ تلك الأرض، وتاريخ الصراع الدائر، والواجب الفردي والجماعي تجاه ما يحدث، بل إنّ البعض يكاد يغفل عن بديهيات الأدبيات والشخصيات التاريخية والأحداث الفارقة.

مؤخَّرًا، بدأ الأفراد في تغيير أولوياتهم واهتماماتهم كما تغيرت نظرتهم إلى السياسة، والتي تنفتح انفتاحا أكبر على قضايا أوسع من قضاياهم المحليّة. وفي سياق أحداث طوفان الأقصى، فإنّنا نُلاحظ أن ثمة فئة كبيرة في الشارع أو في المجال الافتراضي أصبحت تمثل ذواتها بوصفها جزءًا من المقاومة. يُمكن استثمار هذا في ربط أجيال الحاضر والمستقبل جذريًّا بالقضية الفلسطينية؛ من خلال البرامج والأنشطة الثقافية في المدارس والجامعات والمنتديات والنوادي الاجتماعية، والذي بدوره يُمكن أن ينقل التضامن الشعبي من مستويات دعم آنية إلى أخرى طويلة الأمد وأكثر عُمقًا وفاعليةً، أي قادرة على المحاججة في سياقات تختلف ثقافيًّا وعرقيًّا عن الثقافات العربية.

على المستوى الفلسطيني، يبدو أن هناك حاجة لجهود أكبر لتمكين الشباب الفلسطيني معرفيًّا وتقنيًّا؛ من أجل تعويض فقدان طاقات بشرية هائلة في

الحروب المتتالية على قطاع غزة. ذلك هو لُب مشروع العودة عند الفلسطيني اليوم. وكما قال لي أحد الأصدقاء الغزيين بأنّ الشاب الفلسطيني هو الذي سيعوّض دمار الحرب، وليست المشروعات الاستثمارية للبلدان والمنح الأجنبية، فالحياة اليومية أكبر من خرسانات وعمائر تُبنى محل التي هدمها المحتل.

أكاديميًّا وعلميًّا، هناك العديد من الجهود الفردية والمؤسساتية للباحثين ومراكز الأبحاث والمنتديات والمؤتمرات العلمية؛ التي تأخذ من فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي مركزًا لها، من زوايا مختلفة، للتأكيد على أهمية الفلسطيني وفلسطين بوصفها قضية تستحق أن تكون دائمًا محور فحص بحثي، لكنّها لا تتشابك مع أوساط عدة غير أكاديمية/علمية. ولذلك، فإنّ ترجمة هذه المحاولات الأكاديمية إلى نصوص أكثر قربًا من الناس بمختلف إمكاناتهم العلمية والمعرفية وخلفياتهم الاجتماعية والاقتصادية؛ يُعد أمرا ضروريا واجب أخذه بعين الاعتبار. وهذا يعني بعبارة أخرى، أننا يجب في المستقبل أن ننتقل من البحث بصيغة الوضعية الجامدة إلى دوائر

السرد الذي يؤكّد على سردية أصحاب الأرض، والوعي العام بكيفية الدفاع عن قضية التحرر ومقترحات التغيير المستقبلي.

على مستوى الخطاب، ربما لاحظنا عدة تناقضات في الخطاب بين الفاعل العسكري والمدني على الأرض ومن هم خارج ساحة المعركة. ولذلك، فإنّنا بحاجة إلى خطاب على مستويين: شعبي وتحليلي، يعي بحاضر الأحداث وقادر على استشراف مستقبلها، بطريقة لا تخلِط بين التمنيات الشخصية والجماعية ومسار الحدث الفعلي.

وهذا ينقلنا إلى دور النخب بوصفها فاعل رئيس من أجل الضغط السياسي في السياقات المحليّة والإقليمية والدولية، التي من المفترض أن تطور

من خطابها مستقبلاً تطويرا دائما، وذلك على المستويين السياسي والحقوقي، وهو الذي يجب أن يتشابك مباشرة مع تأثير الأفراد في دوائر علاقاتهم، فالمستويات الفوقية لا تنعزل عن الأخرى التحتية، إذ إنّ نتاج الفجوة بين الأفراد والنخب، هو هزيمة سيكولوجية، فكما حدثني أحد الأصدقاء الغزيين ساخرًا: "الآن النخب خذلتنا، وهي تُخبرنا أننا نتقدم والعدو ينهار، لكنّ أسرتي يشترون الغذاء بأضعاف أثمانه، ويموتون جوعًا في غزة".

تكثّفت حملات الدعم الفردي والجماعي الإنساني تجاه المجتمع الغزي في الفترة الأخيرة بفعل تبعات الحرب الكارثية، التي دفعت أفرادًا ومؤسسات في جميع أنحاء العالم إلى توجيه الأولوية إليهم، من خلال التبرعات التي يُقدّمها رجال أعمال أو قوافل طبية يقودها أطباء من عدة دول عربية وإسلامية، لكن في الوقت نفسه، على الداعمين والمتضامنين، أن ينتقلوا من مرحلة الدعم الإنساني إلى "الدعم المُعقّد" الذي يتضمن أموالاً، وإضافة إلى ذلك التفاعل المباشر مع حملات التوعية والتثقيف الهوياتي، الذي يضع القضية الفلسطينية أولوية وجامعا مشتركا، وهذا لا يتم إلّا من خلال عرض ونقاش واهتمام مستمر بتاريخ وحاضر ومستقبل الحرب في المجالين الافتراضي والفعلي، على المستويات المحلية والإقليمية والدولية.

يعيش حوالي نصف الفلسطينيين خارج فلسطين مُوزّعين على البلدان العربية وغير العربية، كما أنّه قد نُفي وهاجر الآلاف، ونزح قسرًا الملايين من العرب من جنسيات مختلفة، وهذا يجعلنا نُحمِّلُ المنفى والشتات الفلسطيني/العربي خصوصية كبيرة، من ناحية التنظيم والفعل المرئي، غير الافتراضي، الذي يتشابك مع الثقافات والشعوب.

إنّ الملاحظة الأجدر بالذكر هنا أنّ الاستثمار الأهم في ذلك الحضور العربي في الخارج؛ يُمكن أن يتمثل في محاولة بناء شبكات داخل البلدان التي يعيشون فيها، (مع الحكومات المُستَقبِلة لهم وجماعات الضغط والتأثير) وبجانب ذلك بناء شبكات أخرى عابرة للحدود، أي بين تجمعات العرب والفلسطينيين في بلدان مختلفة، وهذا بافتراض أن القوة الناعمة إحدى أدوات الصراع؛ التي ربما افتقدها الفلسطيني والعربي عقودًا من الزمن. وإضافة إلى ذلك، فإنّ امتلاك فضاء حرّ وديموقراطيّ إلى حد ما، قد يُتيح فرصًا للعرب والفلسطينيين في الخارج؛ من أجل بلورة سردية لا تتأثر بموقف الحكومات والأنظمة غير الفعّال تجاه القضية الفلسطينية.

تلك السردية التي تُخاطب المواطن العالمي تتضمن ثلاث نقاط انطلاق رئيسة: أولاً، الحفاظ على الحق الفلسطيني التاريخي إعلاميًّا، ثانيًا، رفع الغطاء عن بعض الصور النمطية التي يُروّج لها الإعلام الإسرائيلي، مثل أن المقاومة إرهاب، وأنها المقاومة تستخدم المدنيين دروعا بشرية، وثالثًا، أن فلسطين هي "قضية تحرر وعدالة عالمية"، وليست فلسطينية أو عربية فحسب، لذا، فإنّ ثمة حاجة إلى "عولمة" أدوات التفكير والفعل.

نحو مأسسة الدعم العربي

من باب التفاؤل قليلًا، يُمكننا القول بأنّنا الآن أمام لحظة راهنة، يتحول فيها الفاعلون لفهم موقعهم من الحدث، من كونهم جزءا من الأزمة الكبيرة، إلى فهم أنفسهم بوصفهم في قلب الحرب، وربما محاربون، بأدوات أخرى غير السلاح، خصوصًا، مع تقدم إسرائيل إلى حدود دول عربية مثل مصر، وتطبيعها مع دول أخرى تطبيعا كلّيا مثل الإمارات العربية المتحدة.

يجب مأسسة هذه العناصر جملة، لتوفير قدرة استيعابية للمواطن العربي ودعم متعدد الأبعاد: شعبيًّا وثقافيًّا وإعلاميًّا وفنيًّا وأكاديميًّا، تُحافظ على موقع القضية الفلسطينية في أعلى هرم الأولويات، كما تدفع بالسلوك التأثيري للأفراد خطوات إلى الأمام. وهذا يعني أن تنفيذ وتتبع ذلك، قد يحتاج إلى عمل ممنهج/منظّم، ودوري، لا يترك الأفراد وحدهم يدعمون فلسطين في أوقات الكوارث والأزمات، فيما يُنسى الهم والصراع الأكبر في أوقات انعدام الحرب المباشرة على الفلسطينيين، في حين أنّ الحصار مستمر.

قد تظهر صور هذا العمل الداعم فوق الفردي (above-individual) الممنهج في صورة مؤسسات تُوسّع من نطاق عملها، ليدمج بين المادي والإعلامي والتقني والثقافي والمعرفي والتاريخي، أو منصات إعلامية وصُحف أو منصات رقمية توثيقية (وهي التي ظهرت مؤخرًا)، وإنّ النمط المؤسسي الأكثر رسوخًا قد يتمثل في التأطير للقضية الفلسطينية بوصفها نمط معيش إنساني، عابر للجغرافيا والزمان.

ختامًا، كما كانت رؤية المفكر المصري عبد الوهاب المسيري، حول مصدر قوة إسرائيل، بزعمه أنّ الدعم الأمريكي غير المشروط أحد أهم ضمانات البقاء الإسرائيلي، فإنّ الدعم العربي غير المشروط للفلسطينيين والمقاومة الفلسطينية على المستويين الشعبي والنخبوي، وموقع الفرد العربي بكونه مُستهدفا إسرائيليا إستراتيجيا رئيسا، أي دمجه في قلب الحرب، هي بمثابة ضمانات لتحرير الأرض، وللتقدم خطوات في الحرب العسكرية والسياسية والسيكولوجية القائمة اليوم.

الإسلاميون ما بعد الطوفان وردع العدوان: مسارات إستراتيجية في إقليم قيد التشكل

الإسلاميون ما بعد الطوفان وردع العدوان: مسارات إستراتيجية في إقليم قيد التشكل

عمار فايد

طالب دكتوراه قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية بجامعة إسطنبول أيدن، تتركز أبحاثه على الدولة والجغرافيا السياسية في الشرق الأوسط

بينما نسعى لتحليل تداعيات طوفان الأقصى، وخطوات نظام الحكم الجديد في سوريا بعد الانتصار المظفر على نظام الأسد، فإن الصورة الكلية والأبعاد الإستراتيجية يجب ألا تغيب عن عقل الحركة الإسلامية.

لقد غلب على عقل الحركة الإسلامية خلال سنوات طويلة الأبعاد الإجرائية واليومية، مما جعله غالبا غارقا في التفاصيل، مشغولا بسلسلة لا تنتهي من رد الفعل. والآن، هذه لحظة جد مختلفة، تتطلب التركيز على الأبعاد الإستراتيجية والجيوسياسية، وإلا فإن ضياع اللحظة من بين أيدينا لن يكون مستبعدا.

في أدبيات ودراسات التحول، والانتقال، والفوضى، ثمة مصطلح بالغ الأهمية: نقطة الانقلاب. بتعريف بسيط جدا، تشير نقطة الانقلاب إلى الحدث الذي يفقد عنده النظام محل الدراسة نمطه السائد مسبقا، ويبدأ في إعادة التشكل، ولا يعود أبدا كما كان. يمثل "طوفان الأقصى" نقطة تحول بهذا المعنى؛ فالنظام السائد في المنطقة قبله تعرض لهزة عنيفة، انهارت في إثرها كثير من المسلمات السائدة قبلها، سواء في قواعد الاشتباك العسكري، وحدود الصراع وأهدافه، وتعريف شبكات الأولويات والعلاقات والتحالفات. والنظام الإقليمي الجديد مازال قيد التشكل ولن يستقر قريبا، وما انهيار النظام السوري إلا واحدة من حلقات إعادة التشكل المستمر.

ما يحدث تغيير عميق بعيد المدى، ومن غير الحكمة تقدير قيمته بناء على أي مشهد جزئي، حتى لو كان شكل نهاية الحرب في غزة نفسها. ما بدأ في الطوفان لم تنته تداعياته، لكنّ هذا لا يعني أن ننتظر المشهد الأخير كي نرى ملامح النظام الجديد. بل على العكس؛ يجب من الآن استشراف الاتجاهات الرئيسة العامة لما هو قادم وقيد التشكل، ونشرع إستراتيجيا في تحفيز الاتجاهات المرغوبة، وإجهاض الاتجاهات السلبية أو -في الحد الأدنى- الاحتياط منها.

يقترح هذا المقال اتجاهات رئيسة من المهم أن تكون محل اعتبار العقل الإستراتيجي

للحركة الإسلامية. وأقصد بالحركة الإسلامية (وسأستخدم أيضا "الإسلاميون") التعريف الواسع الذي يشمل طيف الإسلاميين العريض، وتجلياتهم المنظمة المتنوعة، وحتى مفكريهم وقادة الرأي فيهم.

أولا: التصدي للنفوذ الأجنبي

أظهرت معركة طوفان الأقصى ضرورة تبني إستراتيجية طويلة الأجل، ومنسقة تنسيقا غير قُطري، من أجل التصدي للنفوذ الأمريكي في المنطقة؛ باعتباره المدافع الرئيس عن الوضع الراهن إقليميا: أولا، لكونه ضامن أمن الاحتلال وتفوقه؛ وثانيا، لأنه ضامن بقاء منظومة التبعية التي تعاني منها المنطقة ومدافع عن هذه المنظومة، وهذا ما ظهر بصورة سافرة في الحرب على غزة. والسعي للتحرر من النفوذ الأجنبي الخارجي والقمع الداخلي هو سعي مترابط ومتداخل. فكلا التحديين متخادمان، يغذي بعضهما بعضا، ولا يمكن فصلهما إستراتيجيا.

يتطلب هذا المسعى تعزيز أطر التنسيق بين الإسلاميين إقليميا، لأن جهدا إستراتيجيا من هذا النوع أوسع بكثير من أي إمكانات قُطرية. كما أنه جهد متعدد المستويات يشمل مسارات ثقافية وفكرية وشعبية وسياسية واقتصادية وإعلامية... إلخ. وهو مسعى لا ينطلق من قاعدة العداء مع الغرب، أو إعلان الحرب عليه، فالأصل في نظرتنا الإسلامية للتنوع البشري أنه آية من آيات قدرة الله؛ تدعونا للتعارف والتعاون لا الصراع. ولكنّ هذا لا يهدر واجبنا في الدفاع عن حق شعوب المنطقة في التحرر من التبعية وتحقيق الاستقلال الحضاري بكافة مستوياته. ولقد رأينا كيف أن نظرة الولايات المتحدة وأطراف أوروبية أخرى إلى المنطقة لم تتحرر من جذرها الاستعماري الاستعلائي، وإن الحركة الإسلامية التي انطلقت تاريخيا من هدف تحرير دول المنطقة من أي سلطان أجنبي؛ يجب

أن تعمل مجددا على مواجهة هذا بصورة إستراتيجية، وأن تطور الشراكات مع كافة قوى المنطقة الشعبية والرسمية التي تتبنى نفس الهدف، وهي غير قليلة.

ثانيا: التوازن بين العمل القطري والعمل الإقليمي

بالغت الحركات الإسلامية في نظرتها القطرية خلال العقدين الماضيين. كانت ثمة أسباب مفهومة، وتطورات فرضت ذلك الطابع من العمل. لكن الآن لم يعد ثمة شك أن المنطقة بالغة الترابط إلى درجة لم تعد فيها حدود كاملة بين ما يمكن تعريفه شأنا محليا وما يمكن اعتباره شأنا إقليميا. يجب أن يوازن الإسلاميون بين دورهم الوطني المحلي وحاجات الأمة الواسعة؛ التي تتطلب تكامل الجهود وتبادل الخبرات وتنسيق التحركات، وموازنة الأولويات، وتركيز الموارد. إن قوى الثورة المضادة لا تنظر إلى ما يجري في مصر بوصفه شأنا مصريا، ولا إلى التطورات في تونس بوصفها شأنا تونسيا. وهكذا يجب أن تكون نظرة قوى التغيير عموما، والإسلاميين خصوصا، خاصة وأن لديهم من التقارب الأيدولوجي والسياسي ما يزيد من فرص التنسيق والتكامل.

في المعادلة الجيوسياسية التي يعاد تشكلها في المنطقة، من الضروري ألا ينزوي الفاعلون الإسلاميون في مجموعات منعزلة قُطريا، بل يجب أن تظهر الحركة الإسلامية بدور الفاعل الإقليمي المؤثر. وهذا لا يعني بالضرورة وحدة تنظيمية مركزية، بل أشكالا متعددة من أطر العمل المنسق، عبر مؤسسات وشبكات ومنتديات وتجمعات، تحقق أهداف التكامل والتعاضد، ولا تصطدم باعتبارات العمل الوطني المحلي.

كشف طوفان الأقصى عن تراجع هذا الجانب المهم من فاعلية الإسلاميين إقليميا.

وبغض النظر عن أسباب هذا التراجع التي لا يتسع المجال لمناقشتها، فإن سرعة تدارك هذا أمر لا مفر منه، إن كانت الحركة الإسلامية الواسعة تراهن على الإسهام بفاعلية أكبر في تقرير مستقبل إقليم قيد التشكل حاليا.

في هذه الرؤية، سيكون العمل لإنجاح التحول في سوريا مصلحة إستراتيجية مشتركة، وليست "شأنا سوريا"، وسيكون العمل لهزيمة مشروع الإمارات في السودان ضرورة إقليمية وليس معركة الإسلاميين في السودان، وهكذا في اليمن وليبيا وغيرها. وبالطبع فإن فلسطين هي في مقدمة ما يجب أن يكون شأنا غير قطري، لا على سبيل الدعم والتعاطف، ولكن على سبيل الشراكة وتوزيع الأدوار وتكاملها.

ثالثا: تمثل روح اللحظة التاريخية

ثمة سبب رئيسي لبقاء الإسلاميين في صدارة الحركات السياسية والاجتماعية في منطقتنا حتى الآن. هذا السبب ليس سببا تنظيميا ولا سببا فكريا ولا سببا اقتصاديا. هذه عوامل مهمة لا ريب لكنّها -في رأيي- ليست السبب الرئيسي. أعتقد أن الحركة الإسلامية تستمد موقعها وتأثيرها من كونها تعبر عن حاجة الأمة. أي أن الناس ترى في خطابها وأولوياتها ما يعبر عن مخاوفهم وتطلعاتهم. فالحركة الإسلامية ولدت في سياق التحديث في المجتمعات العربية، وكانت بذلك استجابة الأمة للمخاوف المرتبطة بتأثير التحديث على

تقاليد المجتمعات وهويتها. وكانت شريكا مع غيرها من القوى الوطنية في مشروع الاستقلال والتحرر. وظلت في دول ما بعد الاستقلال صوت الناس المعبر عن تمسكهم بهويتهم والمدافع عن حقوقهم الاقتصادية وحرياتهم السياسية. صحيح أن الإسلاميين لم ينفردوا بذلك في دولة ما بعد الاستقلال مع وجود حركات سياسية واجتماعية معارضة غيرهم، لكنّهم كانوا في طليعة هذه الجهود.

الآن، لا يجب أن يغيب عن تقدير الحركات الإسلامية التداعيات العميقة على مستوى وعي الناس جراء طوفان الأقصى. ولا يجب أن يكون لدينا شك في أن الشعوب العربية، على الأقل قطاع عريض منها، يختزن شعورا ثقيلا بالمهانة والعجز، ويراكم غضبا ورفضا لواقع الضعف العربي والإسلامي الذي فضحته حرب غزة. هذه أمور لا تذوى مع الوقت في ذاكرة الشعوب. ولذلك؛ فإن حاجة الشعوب إلى الإحساس بالكرامة لا يقل عن حاجتها إلى لقمة الخبز. وقد كانت الثورات العربية في 2011 لحظة انفجار مركبة، اختلط فيها رفض الاستبداد والفساد، برفض الهوان الذي كنا نختزنه منذ لحظة احتلال العراق، وأفغانستان، وحروب غزة، ولبنان. كنا في مصر نريد تصحيح خطيئة حصار غزة بنفس قدر سعينا للحرية والعدالة الاجتماعية.

هذه هي الروح التي يجب أن تتمثلها الحركة الإسلامية وتعبر عنها، إذ على الإسلاميين تصدر الحديث باسم الرأي العام الشعبي. ويجب أن ترى الشعوب في الإسلاميين تجليا لذاتهم التي لا يستطيعون التعبير عنها حتى الآن؛ وأن يكون خطابهم واضحا وصريحا حول مشروعية الجهاد ضد الاحتلال، والنضال ضد التبعية والهيمنة، وأن يقودوا هذه الشعوب نحو أداء واجباتها المتنوعة، وأن يكون موقف الإسلاميين واضحا في رفض المواقف الرسمية السياسية والعسكرية المتخاذلة.

في مشهد تقف فيه الشعوب، قطاع واسع منها على الأقل، على طرف نقيض من موقف الحكومات، يجب أن يكون انحياز الإسلاميين واضحا. صحيح أن الإسلاميين عموما يقفون في جانب معارض للسلطة والحكومات، لكنّهم، كما ظهر مؤخرا، باتوا أبطأ حركة وأكثر محافظة مقارنة بما يعتمل في نفوس الشعوب وأرواحها. ويجب أن يتذكر الإسلاميون أنهم يستمدون قوتهم ومعنى

وجودهم من حقيقة أنهم استجابة الأمة للتحديات التي تواجهها، وصوت الشعوب التي لا تجد من يعبر عنها في ظل المواقف الرسمية المتخاذلة والمتواطئة.

أسئلة مطروحة على العقل الإستراتيجي للإسلاميين

نقطة البداية لاستشراف حالة التشكل التي يمر بها الإقليم هي تحديد الأسئلة التي ستواجه تحركات الإسلاميين وتشكل أجندتهم الإستراتيجية.

في ضوء ذلك، نقترح الأسئلة الآتية

1. كيف نستفيد من حالة الانتقال العالمي والإقليمي؟ ما هي الفرص وما هي التهديدات وما هي الأولويات التي ينبغي التركيز عليها في هذه الفترة التي تتسم بعدم اليقين؟ الإجابة هنا ينبغي أن توازن بين ضرورة وضوح التوجه الإستراتيجي، وضرورة تحديد المصالح بعيدة المدى تحديدا دقيقا، وبين المرونة التكتيكية التي لا غناء عنها لأي فعل سياسي، خاصة في واقعنا بالغ التعقيد.
2. ما هي الدروس التي ينبغي تعلمها من تجارب التغيير في عقد التدافع الماضي؟ رغم انتكاسة حركة التغيير لكن السنوات الماضية تظل فريدة من ناحية أنها سنوات من النضال المتراكم، سياسيا وشعبيا، وعسكريا في بعض الساحات، اختبرت فيها قوى الأمة الحية إمكاناتها واستعدادها الفكري والأخلاقي واللوجيستي، اقتربت من السلطة وتفاعلت بمستويات متنوعة مع قوى إقليمية ودولية، ومن ثم فإن دروس هذا العقد ينبغي تدبرها في لحظة استدراك إستراتيجي استعدادا للمضي نحو مرحلة جديدة.
3. ما هي القدرات الفاعلة والكامنة حاليا في الأمة؟ وما هي إمكانات الفعل الرسمي والشعبي التي نستهدف استنهاضها وتوجيه بوصلتها نحو الهدف المنشود؟
4. كيف نحقق التكامل المرن بين مكونات العالم الإسلامي، ضمن خطوات تدريجية تُنهي القطيعة التي أحدثتها عقود التشرذم ومشروعات التجزئة؟ وما هي مستويات (شعبية / مؤسسات / فواعل من دون الدول / رسمية) ومسارات (فكرية / مجتمعية / سياسية / اقتصادية) هذا التكامل التي تمثل فرصة أو أولوية للانطلاق منها؟
5. ما هي الإستراتيجية العامة التي ينبغي تطويرها للتعامل مع مسألة الدولة القُطرية وما تمثله من تحديات؟ ما هي مساحات المناورة والتكتيكات السياسية والتنظيمية التي من الممكن أن تجنب الشرق المزيد من استنزاف إمكاناته ومقدراته؟ والأهم: كيف نضع أهدافنا في تقاطع مع مصالح دول وحكومات؛ بما يضمن له قدرا معتبرا من التبني الرسمي الذي يمثل قوة دافعة ضرورية؟
6. ما هي ملامح المستقبل التي نسعى لرسمها، والتي تمثل الحلم والمثال الذي ندعو قوى الأمة الحية كي تلتف حوله وتيمم وجهها شطره؟

الأنظمة العربية وتداعيات

طوفان الأقصى

الأنظمة العربية وتداعيات طوفان الأقصى

أحمد مولانا

باحث في الشؤون السياسية والإستراتيجية

لم يُمثل طوفان الأقصى تهديدا وجوديا لكيان الاحتلال عبر تقويضه نظرية الأمن الإسرائيلية القائمة على الردع والإنذار الاستخباري المبكر والحسم السريع للحرب في أرض العدو فقط، بل أطلق سلسلة تفاعلات إقليمية لازالت تتبلور لتنذر بتغييرات كبيرة في المنطقة

أولى تلك التفاعلات، تمثلت في عملية «ردع العدوان» التي أطلقتها فصائل المعارضة السورية نهاية نوفمبر 2024، مستغلة الانشغال الروسي بحرب أوكرانيا، وتضرر قدرات حزب الله، ومقتل أغلب قادته على يد الاحتلال الإسرائيلي، ومن ثم انهارت قوات النظام السوري، ودخل الثوار دمشق في أقل من أسبوعين

هذا الزلزال الجيوسياسي ضرب النفوذ الإيراني في مقتل، فبفقدان سوريا، وتلقي حزب الله ضربات موجعة في مقدمتها مقتل أمينه العام حسن نصر الله، والقبول بوقف إطلاق نار فصَل جبهة لبنان عن غزة، انفرط عقد محور المقاومة، وهو ما ستكون له تداعيات كبيرة على العراق ولبنان.

كذلك فإن انتصار حركات إسلامية مسلحة في منطقة حيوية بالعالم العربي والإسلامي، وتمكنها من الإطاحة بنظام مستبد مدعوم بقوى إقليمية ودولية، سيطلق طاقة كامنة في العالم العربي، ويعيد إحياء ثورات الربيع العربي، ليبدأ تساقط قطع الدومينو تباعا، بينما ستتبخر أطروحة "ما بعد الإسلاميين" إذ أثبت الإسلاميون مجددا أنهم الفاعل الشعبي الرئيس في العالم العربي.

موقف الأنظمة العربية من الطوفان

إن واشنطن في ظل انشغالها بكبح الصعود الصيني، اعتزمت تخفيف بصمتها العسكرية في الشرق الأوسط، ودفعت باتجاه بناء نظام أمني إقليمي إسرائيلي عربي، وضمن هذا الإطار تبنت خطوات عسكرية وسياسية واقتصادية:

- **عسكريا**، نقلت الولايات المتحدة تبعية إسرائيل من القيادة الأوروبية التابعة للبنتاجون إلى القيادة المركزية الأمريكية؛ كي تدمجها مع الدول العربية في التدريبات العسكرية والتخطيط المشترك.
- **سياسيا**، تبنت إدارة ترامب الأولى اتفاقيات إبراهام للتطبيع كإطار سياسي، فانضمت إليه الإمارات والبحرين والمغرب، فيما انخرطت السعودية في مفاوضات تخص التطبيع، ومن المفترض -حال نجاحها- أن تفتح باب التطبيع لدول أخرى عربية وإسلامية تبعا للرياض.
- **اقتصاديا**، أعلن بايدن عن ممر اقتصادي جديد يبدأ من الهند ويمر بالإمارات ثم إسرائيل وصولا إلى أوروبا.

وقع طوفان الأقصى، محاولا ضمن أهدافه عرقلة الترتيبات الأمريكية للمنطقة التي تتضمن قتل القضية الفلسطينية، ورأت فيه العديد من الدول العربية، وبالأخص مصر والأردن والإمارات والسعودية، تهديدا لمسار التطبيع مع إسرائيل، وانتصارا لمسار المقاومة، وإثباتا لقدرة المستضعفين على الفعل والتأثير والنكاية في قوة أقوى تسليحا ومتطورة تكنولوجيا مثل إسرائيل، كما خشيت الدول المذكورة من أن يمثل الطوفان انبعاثا جديدا للحركات الإسلامية بعد الضربات الموجعة التي تلقتها في حقبة الثورات المضادة.

ولكن في ظل تفاوت مصالح كل دولة اختلف رد فعلها، وإن اشتركوا جميعا في تشجيع تل أبيب على كسر ظهر حماس، والقضاء عليها في قطاع غزة، فلم تقطع أيٌّ من الدول المطبعة علاقاتها مع إسرائيل، أو تطرد السفير الصهيوني لديها، أو حتى توقف المعاملات التجارية مع كيان الاحتلال.

فمصر حرصت على تبني موقف سياسي وإعلامي متوازن لدورها في مفاوضات صفقة الأسرى، ولتجنب استفزاز الشارع المصري الداعم لقضية فلسطين، لكن ميدانيا، قمعت أجهزة الأمن أي محاولات لتنظيم وقفات احتجاجية أو مظاهرات تندد بالاحتلال ومجازره، كما عزز النظام المصري إجراءات حصار غزة، ولم يسمح بدخول مساعدات عبر معبر رفح قبل

احتلال إسرائيل له، أو خروج جرحى للعلاج، سوى ما توافق عليه الأجهزة الأمنية الإسرائيلية، ووصل الحال لأخذ آلاف الدولارات من أهل غزة مقابل السماح لهم بالمرور من معبر رفح، رغم حصولهم على موافقات أمنية من الاحتلال عبر التنسيق الأمني المصري الإسرائيلي.

أما الأردن، فحرص على تعزيز الإجراءات الأمنية على الحدود مع فلسطين، التي تعد الأطول مع دولة عربية مجاورة، وذلك للحد من عمليات التسلل وتهريب الأسلحة إلى الضفة الغربية، أو حتى تنفيذ هجمات على يد شباب أردنيين ضد الاحتلال، وكذلك نفذت أجهزة الأمن حملات اعتقال ضد المشاركين في التظاهرات قرب السفارة الإسرائيلية، مما قضى على زخم تلك التظاهرات.

بينما سخرت وسائل إعلام سعودية وإماراتية جهودها للتشكيك في الطوفان ودوافعه، والادعاء بأنه عملية إيرانية، مع استضافة شخصيات مطبعة، وأحيانا صهاينة، لترويج السردية الإسرائيلية، ووسم حركة حماس بالإرهاب، فيما استمرت العلاقات الاقتصادية، والزيارات المتبادلة بين المسؤولين الإسرائيليين ونظرائهم في الإمارات.

ماذا تريد الدول العربية؟

تريد الدول العربية المطبعة سحق حركة حماس، وتسليم حكم قطاع غزة للسلطة الفلسطينية أو لأطراف فلسطينية أخرى مثل محمد دحلان، وذلك لتعزيز سردية التطبيع، وإقصاء كل من يتبنى خيار المقاومة من المشهد. فالطوفان كان محرجا للأنظمة المطبعة، إذ تمكنت حركة إسلامية محاصرة 15 عاما بإمكانات بسيطة من تنفيذ عملية عسكرية معقدة داخل الأراضي المحتلة منذ عام 1948، وباغتت الاحتلال، ودمرت تحصيناته، وتجاوزت الجدار العازل، مما دل على أن الأنظمة العربية بما تملكه من أموال وأسلحة قادرة على فعل الكثير، لكنها اختارت التطبيع لتحقيق مصالح ضيقة ترتبط بأنظمة الحكم، وليس عجزا عن مواجهة إسرائيل وللخروج من تلك المقارنات

الفاضحة، كان خيار التواطؤ مع الاحتلال هو الأنسب، لجعل غزة ومقاومتها وأهلها عبرة ومثالا لكل من يفكر في رفع السلاح ضد الاحتلال، وللتشديد على أن التداعيات السلبية لخيار المقاومة أكبر من المكتسبات، وهو ما يعزز أيضا سردية أن الثورات والمطالبة بالتغيير الداخلي تجلب من الخسائر والسلبيات ما يفوق الفوائد والإيجابيات.

تفاعلات خارج الحسبان

بينما دبت مشاعر الفرح في صفوف الأنظمة تجاه تعرض حزب الله اللبناني لضربات غير مسبوقة، والتخلص من قياداته، وقبوله بوقف إطلاق نار وفق شروط إسرائيلية تتيح تقليم أظافر الحزب داخل لبنان، وترك غزة وحيدة تواجه الحصار والمجازر اليومية، والتخلص من قادة المقاومة الفلسطينية واحدا تلو الآخر، جاءت التطورات في سوريا لتقلب الأوضاع رأسا على عقب.

إن نظام بشار الأسد ثبت أنه هش داخليا، وهي سمة تشترك بها العديد من الأنظمة العربية بالمنطقة، كما أنه فقد شرعيته بوصفه نظاما يزعم الانتماء لمحور المقاومة؛ إذ لم يرد على أي اعتداء إسرائيلي على الأراضي السورية، وهو ما تشترك معه فيه أنظمة أخرى من جوانب معينة، بوقوفها مشاهدة ما يحدث بغزة، ومشاركة في حصارها، وفي التعاون الأمني والاقتصادي مع إسرائيل، واعتمد في بقائه على دعم أجنبي، وبالتالي فإن العوامل التي جردته من شرعيته، متحققة بأشكال مختلفة في دول أخرى بالمنطقة. ولذا يتوقع أن يكون لما حدث بسوريا، وفي الطوفان، تداعيات كبيرة خلال الفترة القادمة تشمل صعود الإسلاميين مجددا بعد فترة انكسار، وتجدد الأمل في القدرة على التغيير طالما توفرت الإرادة للإعداد والبذل.

إن الطوفان، وتداعياته في سوريا، أثبت أن المستحيل ممكن، وأن الشعوب وقوى المقاومة فاعل مؤثر في المشهد، وضخ روحا جديدة جعلَ كثيرين يبحثون عن أدوار يؤدونها للدفع باتجاه التحرر من الاحتلال والتخلص من الاستبداد، وبدا أن كرة الثلج التي تشكلت في 7 أكتوبر 2023 تتدحرج لتكبر، وظهرت أولى تجلياتها في إحدى دول الطوق، ومن المتوقع أن تظهر ارتداداتها قريبا في دول أخرى، لتقود البوصلة نحو القدس في معركة ستكون صعبة لكنها ليست مستحيلة، كما أنها واجبة

الحراك في الدول الغربية: خرائط التنوع وإمكانية التعاون

الحراك في الدول الغربية: خرائط التنوع وإمكانية التعاون

بلال هشام

طالب ماجستير اقتصاد سياسي بجامعة هامبورج في ألمانيا
خريج أقسام علوم سياسية وعلاقات دولية، واقتصاد، وعلم الاجتماع من جامعة مرمرة بتركيا
مهتم بالاقتصاد السياسي، والحركات الاجتماعية، والجيش والسياسة

«رؤيتنا واضحة، وهو دعم قيام دولة واحدة علمانية اشتراكية في فلسطين»، قال هذه الجملة أحد الشباب اليساري النمساوي في اجتماع لعدد من المجموعات اليسارية النمساوية المناهضة للصهيونية، كانت صديقة فلسطينية هي من شجعتني على الحضور معها للتشبيك مع نشطاء «محليين»، حتى لا يبقى النضال مقتصرًا على الطلاب الأجانب. كلانا لم نستسغ هذه الجملة، ليس لفحواها؛ بل لما تتضمنه من نوع من الدعم المشروط أيدولوجيًا، وقدر من الوصائية، بدلًا من الإقرار بأن للفلسطينيين الحق في تحديد شكل دولتهم، لكننا في الوقت نفسه لم نعلق عليها حينها. في بيئة النمسا وحتى ألمانيا، تغيب القوى المنظمة المحلية عن حشد المظاهرات، وهو ما كنا نحتاجه لتجسير هذه الفجوة من منظورنا، وبالتالي علينا النقاش والتشبيك والتجسير، إذا أردنا توسيع نطاق السخط على الإبادة الإسرائيلية ضد أهلنا في غزة. ولعل حالة مظاهرات الجامعات في أمريكا -على وجه الخصوص- أبرزت أهمية الصخب الإعلامي الذي تحدثه هذه الطبقة العليا من الشباب في الغرب.

لا يوجد دعم غير مشروط على أي حال، وعلى كلا الطرفين الإسهام في بناء تفاهم وتحالف. فمن التقاطع في المصالح والأهداف والقيم تُبنى التحالفات، والنشطاء العرب بحاجة إلى نشطاء محليين لتوسيع المشاركة، ولتوصيل خطابهم إلى شرائح أوسع، وللاشتباك مع قضايا محلية متجاوزة فلسطين (قضية الهجرة أو حقوق العمال أو حقوق الأقليات)، لإكساب حالة الزخم استمرارية. وعلى الطرف الآخر، ينظر الناشط الغربي إلى مظاهرات مناصرة فلسطين على أنها فرصة لتوسيع قاعدته والوصول إلى قطاعات لم يصل إليها من قبل. ومن الأمثلة للتوضيح، تعاون مثل هذا يُمكِّن المهاجر من الوصول إلى إضرابات المصانع ومظاهرات الأحياء الراقية في مدينة ما، وتمكِّن الناشط المحلي من الوصول إلى أحياء المهاجرين.

بمثل هذا التصور يمكن بناء تحالفات يكسب طرفاها، لكن لا بُد من التواصل الفعال وإدراك نقاط الالتقاء والاختلاف، للتأكيد على الالتقاء وتحييد الاختلاف. وفي هذا المقال، سأحاول الحديث عن فئات ثلاث واسعة في المجتمع الغربي، هم: اليسار الراديكالي، واليسار الهوياتي، واليمين الترمبي، ومن ثم كيف يمكن للخطاب الداعم للمقاومة التفاعل معها؟ ومن الجدير بالذكر أنه لا يوجد غرب واحد، ولكل دولة سياقاتها المختلفة وقواها الاجتماعية والسياسية المختلفة؛ تبعًا لاختلاف التاريخ وحتى المصالح. فعلى سبيل المثال، حركة أوروبية يسارية كمعاداة الفاشية (Anti-Fascist) التي تنشط في ألمانيا والنمسا وإيطاليا، نجد أن نخبتها في ألمانيا والنمسا صهيونية، وخلال الإبادة الإسرائيلية باتوا يعاقبون الحركات اليسارية المعادية للصهيونية إما بالتشهير أو بقطع التمويلات. وعلى الناحية الأخرى، نرى نفس الحركة في إيطاليا معادية للصهيونية وتنشط في الحراك المناصر لفلسطين. يمكن أن يفسر هذا تاريخيًا، بسبب إحساس الألمان بالذنب التاريخي تجاه الهولوكوست، ونقدهم دور بلادهم في المحرقة نقدا يعمي بصيرتهم عن جرائم الصهاينة. في حين نرى أن اليسار الإيطالي الراديكالي الذي شارك بعض أعضائه في حرب التحرير في الجزائر ضد فرنسا، تعلموا هناك عن القضية الفلسطينية، وأحضروها إلى الساحة السياسية الإيطالية مبكرًا، مما جعل التيار السائد في اليسار الإيطالي داعم لفلسطين.

اليسار الراديكالي:

اليسار الراديكالي الكلاسيكي المعادي للإمبريالية، لعل هذه الفئة هي الأكثر قابلية للتحالف معها، لكونها شديدة النقد لكل السياسات الغربية الاستعمارية. وتمثل هذه الفئة امتدادًا لحركة المناصرة العالمية لفلسطين أثناء الحرب الباردة، فتشمل العديد من قوى المعسكر الشرقي وحركات التحرر الوطني في دول الجنوب العالمي من أمريكا اللاتينية وأفريقيا

وغيرهما. وقد بنَت منظمة التحرير الفلسطينية -وخاصة الجبهة الشعبية- علاقات وثيقة مع بعض هذه الحركات، وهو ما ظهر في العديد من الهجمات ضد إسرائيليين، شارك فيها يساريون أمميون من أنحاء العالم. وربما خفت دور هذه الفئة من اليسار مع انهيار الاتحاد السوفييتي، لكنها بقيت على هيئة تشكلات وأحزاب صغيرة، لذا بقي خطابها حاضرًا.

ولكن تكمن مشكلة هذا التيار في تاريخه وتبنّيه النظر إلى العالم نظرة ثنائية، فهذه الفئة تنتمي لحقبة الحرب الباردة، وقد انحازت إلى الاتحاد السوفييتي وغيره من قوى المعسكر الشرقي، ولكنها تمد هذا الانحياز إلى آخره، فهي تبرر الغزو الروسي لأوكرانيا، وبررت استبداد بشار الأسد والتدخل الإيراني لأنهما معاديان لأمريكا وإسرائيل. فعلى سبيل المثال، بدأ هذا اليسار مهاجمة الثوار السوريين أثناء زحفهم إلى دمشق، وبات يصفهم بالإسلاميين والتكفيريين والمتشددين، وغيرها من الأوصاف التي لم أسمعها منهم على حماس وحزب الله طوال عام، حتى ظننت أنهم متجاوزون لهذه الصور النمطية الاستشراقية، وأسبوعا عملية ردع العدوان أثبتا عكس هذا، وأن هذا اليسار انتقائي في أوصافه واصطفافه. وتمتلك إيران ومحور الممانعة العربي قنوات اتصال مع مثل هذا التيار، ومن خلالها يتأثر برؤيتهم للأحداث داخل المنطقة. انتقائية هذا اليسار إن دلت فهي تدل على أن تغيير الصورة ممكن، فليس لديهم عداء مع الدين أو الإسلاميين، هم داعمون للمقاومة، شريطة كونها معادية للغرب وفي القلب منه أمريكا، وهو متحقق لهم في حالة المقاومة في فلسطين، لكنهم متشككون في حركات الربيع العربي، ومعادون للسورية على وجه الخصوص.

من المهم استثمار جهد لبناء جسور مع اليسار الراديكالي، ولكن يجب الوعي بأنه قد تم تهميشه؛ وبقي على هيئة مجموعات وأحزاب صغيرة خارج التيار السائد في السياسة. لذا هو حليف على المدى البعيد يؤثر في خطاب اليسار بطيفه الواسع، لكنه لا يحدث تغييرًا مباشرًا في السياسة.

اليسار الهوياتي الجديد:

شباب اليسار الجديد بشعاراته الهوياتية سواء العرقية والجندرية ومناهضة التغير المناخي؛ مثّل الكتلة الغربية الأكبر المنضوية في المظاهرات المناهضة للإبادة في غزة، كحالة مظاهرات الجامعات في أمريكا، هذه المظاهرات التي مثلت صدمة لأنصار الصهيونية، ويحاولون استهدافها بشتى الطرق، بالعنف وبالخطابات الإعلامية.

تمثل هذه الفئة قاعدة كبيرة من المصوتين للحزب الديمقراطي في أمريكا أو حزب العمال في بريطانيا، وغيرهما من أحزاب اليسار والخضر في العديد من الدول الغربية، ولكن للتأكيد لم تكن هذه حالة ألمانيا والنمسا. ومن ثم فهو يختلف من دولة لأخرى، فمثلًا، بعد أحداث السابع من أكتوبر، تضامنت حركة (Fridays for Future) (المناهضة للتغير المناخي) فرع ألمانيا مع إسرائيل، في حين تضامنت الحركة الأم مع الحراك الفلسطيني.

تمثل هذه الفئة اليسار السائد في الدول الغربية، ومن ثم تتمثل أحزابه في السياسة الغربية وقد تقود حكومات. ولكن تظهر هنا الفجوة بين جيلين في مثل هذه الأحزاب، الجيل الأكبر من الساسة، والجيل الأصغر من الشباب المصوت للأحزاب، ويظهر هذا في العديد من استطلاعات الرأي التي تعكس تنامي رفض سياسات إسرائيل؛ خاصة بين الشباب من جيل Z ومن يليهم. ولعل هذا التراجع الشعبي في دعم إسرائيل هو ما يدفع الجيل الحالي من الساسة كبار السن إلى الاستماتة في دعم إسرائيل، كونهم يدركون أن هذا الوضع قد يتغير في المستقبل. وهو ما يوحي بنظرة من التفاؤل للمستقبل إن تنظّم هؤلاء الشباب وناضلوا داخل أحزابهم لتغيير السياسات. وتتشابه هذه الحركة مع بدايات الحركة المناهضة للفصل العنصري في جنوب أفريقيا في سبعينات وثمانينات القرن الماضي، لكنها ما زالت في طور التشكل وينقصها كثير من التنظيم. لذا تمثل هذه الحركة مضمار النضال الأهم للخطابات الداعمة للقضية الفلسطينية، والتي يجب أن توعيها وتبني شبكات معها، وتسهم معها في التنظيم.

عادة ما يدعم هذا الجيل من اليسار الجديد فلسطين على أسس هوياتية، فهم يرون في إسرائيل قوة استعمارية تمثل العنصرية والفوقية البيضاء ضد السكان الأصليين، كما أن إسرائيل تتلخص فيها صورة الظالم: الرأسمالي المستغل الذكوري العنصري، لذا فإن إسرائيل تمثل كل شيء يناضلون ضده. ولكن هذا الجيل يدعم فلسطين على أنها قضية مجردة، ويدعم الفلسطيني لما يتمثله من صورة الضحية المجردة، لذا فغالبيتهم ينتقدون

المقاومة "العنيفة" أيضًا، على عكس اليسار الراديكالي، فالعديد منهم شباب مديني من الطبقة الوسطى المتعلمة ويرفضون فكرة العنف. وهو ما يمكن اعتباره أرضية مشتركة، وتشجيعهم على الانخراط بقوة في حركة مقاطعة إسرائيل (BDS)، ويجب تدريجيا توعيتهم بمركزية المقاومة (إسلامية أو يسارية) وأن لا بديل عنها لتحرير الأرض. وهنا تحتاج الحركات الإسلامية المقاومة على وجه الخصوص تطوير خطاباتها للخارج، وعلى داعمي القضية في الغرب أن يحاولوا تكسير صورة "الإسلاميين" المعبأة بحمولة استشراقية واستعمارية، وتقديم صورة أقرب لواقع المنطقة بكونهم فاعلا شرعيا وأساسيا لا يمكن تنحيته، فحركة المقاومة مليئة بطيف واسع من الوطنيين والإسلاميين واليساريين وغيرهم، وكلهم يسهمون ضد "الظالم الرأسمالي الاستعماري العنصري الذكوري".

وهنا يجب ربط المقاومة الفلسطينية بنضالات هذا الجيل من الشباب، فمثلًا التأكيد على الدور الذي تلعبه إسرائيل في تدريب شرطة نيويورك ودورها في العنف الشرطي ضد السود، أو دور اللوبي الصهيوني في مسائل تتعلق بتجارة السلاح والإسهام في التغير المناخي وغيرها من السياسات. يجب تجسير النضالات، والتأكيد على الظلم الذي تسببه النخبة الاقتصادية والسياسية على كلٍّ من الفلسطينيين والأمريكيين. كما يجب على التجمعات العربية والإسلامية في الغرب تجنب النقاط الخلافية مع هذا الجيل، فالتواصل الجيد والنقاش والاتفاق على تنحية الخلافات -على صعوبته- مهم وممكن. ففي حالة النمسا، حدثت العديد من الخلافات بين الجاليات المسلمة وبعض هذه الحركات، حتى أصبحوا ينظمون تظاهرات مختلفة، وقد حدث هذا لأسباب مختلفة، منها علم قوس قزح والقضايا الجندرية التي تدعمها هذه الحركات، وهو ما يرفضه العديد من أبناء الجالية المحافظين، بالإضافة إلى العلم التركي الذي رفعه بعض الأتراك في المظاهرات، وهو ما أزعج بعض الأقليات كالأكراد والأرمن والمتضامنين معهم من الأوروبيين. وما دمنا نتفق على هدف مناهضة الإبادة وقيمة التحرر، فأظن أن هناك فرصة لتنحية هذه الخلافات والوصول إلى صيغ مقبولة عن طريق التواصل.

اليمين الترمبي:

عادة ما كان يميل المسلمون في أمريكا للحزب الجمهوري فيما قبل

أحداث سبتمبر، ولكن هذا الميل تبدل بـ"الحرب على الإرهاب" التي استهدفت -أساسا- المسلمين. قبل هجوم السابع من أكتوبر، كانت هناك بعض المؤشرات التي تظهر شيئًا من النفور من الحزب الديمقراطي؛ بسبب تبنيه سياسات الهوية التي يراها العديد من مسلمي أمريكا مهددة لأسرهم. وقد أحدثت حرب الإبادة هزة قوية للمجتمع المسلم، الذي رأى في الحزب الديمقراطي داعمًا لإسرائيل، ولكن الخطاب الجمهوري كان أكثر عنصرية وإبادية، لذا فمن يجب أن يدعموه؟! ولكن بالتركيز على قضايا الداخل الأمريكي فقط، يرى العديد من مسلمي أمريكا اليمين أقرب إليهم؛ من حيث نظرتهم إلى القضايا الاجتماعية والاقتصادية، وهو ما يفتح بابًا للتواصل.

لا يمكن التحالف على أي حال مع اليمين الغربي في قضية فلسطين، فالمعادون لإسرئيل منهم هم معادون للسامية وعنصريون تجاه الأقليات، مما لا يترك مساحة للتحالف لكونه يرفضنا من الأساس، وإن حدث فستضر بتحالفات أهم مع اليسار. ولكن أزعم أن فهم اليمين الترمبي (المتجاوز لشخص ترمب نفسه) مهم لحالة دعم فلسطين، فاليمين الترمبي في جوهره انعزالي يحاول الانكفاء على الداخل، ومن ثم تقليل الوجود العسكري خارجيًا، وتقليل الدعم الاقتصادي والعسكري لحلفاء أمريكا في الخارج. فهو يمين في جوهره غير تدخلي،

عكس المحافظين الجدد في إدارة بوش، وهو يمين يعادي الآخر المهاجر على أرض أمريكا بلا خصوصية للعداء مع المسلمين. ومن متابعة الإعلام الأمريكي، نرى أن داعمي ترمب الجدد هم ضد دعم أوكرانيا، وموقفهم متباين إزاء دعم إسرائيل، باستثناء القاعدة الإنجيلية الكبيرة الداعمة لإسرائيل لأسباب دينية وأيدولوجية. كما نرى هذا في خطاب ترمب الداعي لوقف الحرب في أوكرانيا، وفي رسائله المتباينة تجاه الإبادة في غزة، وهو ما دعا العديد من عرب أمريكا إلى دعم ترمب، الذي روّج نفسه بوصفه الرجل الذي يعقد الصفقات وينهي الحروب.

أزعم أن فهم النزعة الانعزالية للحركة الترمبية مهم، وهذه الحركة ما زالت في طور التشكل، لذا فتبعاتها الأيدولوجية والسياسية ما زالت غير واضحة، بغض النظر عن الدور الذي سيلعبه ترمب في السنوات الأربع القادمة، واليمين الترمبي يختلف عن اليمين الأوروبي الصاعد المعادي لصورة "المهاجر المسلم"، وحتى علاقة اليمين الأوروبي مع إسرائيل مختلفة. فالنزعة الانعزالية في الحركة الترمبية قد تصب في صالح القضية الفلسطينية على المدى الطويل، لذا يجب علينا فهمها وتحديد كيفية الاستفادة منها.

خاتمة:

لا يوجد غرب واحد، وعلينا إدراك حالة كل دولة وقواها الاجتماعية المختلفة. حاولت في هذا المقال رسم صورة عامة عن حركات سياسية مختلفة موجودة في الغرب. فإدراك هذه القوى وآرائها ودوافعها مهم لتحديد كيفية التعاون معها، وبناء جسور، وتحسين صورة المقاومة. وهناك أرضيات مشتركة يمكن البناء عليها وإيجاد صيغ تفاهم لتحييد الاختلافات وعدم فرض الأفكار؛ في ظل تقاطع بعض المصالح والأهداف. ومن الأولويات هنا، إيصال صوت المقاومة -بشتى أطيافها- وتحسين صورتها، واستثمار قنوات التواصل التي تشكلت بالفعل في ظل المظاهرات المناهضة للإبادة، فغياب الاستثمار والتنظيم سيعني أن هذه اللحظة العفوية الداعمة قد تندثر بعد فترة.

يجب الاستثمار في التنوع الغربي، وخاصة في الدول ذات نظام الحزبين كأمريكا، فلا يصح التحالف تمامًا مع حزب، مما قد يؤدي لإقصاء أصواتنا في حال هزيمته، فمن الخطأ وضع البيض كله في سلة واحدة. فمثلًا، يدعم اللوبي الصهيوني كلا الحزبين، ويزيد دعمه للديمقراطيين بسبب معاداة بعض قواعده التصويتية الآن لإسرائيل، مما يتطلب تركيزًا ودعمًا أكبر من جانبه، يجب التعلم من عدونا وأدواته وبراجماتيته. وفي هذا يجب الاستفادة من حالة التنوع في المجتمع العربي والمسلم الداعم لفلسطين، من مسيحيين عرب ومسلمين ليبراليين أو يساريين، بالإضافة إلى الجيل الثاني من المهاجرين المسلمين والعرب. وهذا التنوع قادر على أن يتفاعل تفاعلا إيجابيا أكبر مع تنوع المجتمعات الغربية، وقد تلعب بعض هذه المجموعات دور حلقة الوصل التي يُبنى عليها، حتى لا تضيع الجهود سدى.

طوفان الفرص..

في عصر جديد للشعوب

أ. م.

كاتب مصري وراء القضبان

طــوفــان الفـرص.. في عصر جديد للشعوب

بدا أن طوفان الأقصى انطوى على ما هو أعمق من فكرة الحرب، أقلّه أن التاريخ لم ينته بعد، فالطوفان أثبت "الإمكان" وقدم لنا تجليات عصر جديد: إمكاناته، وفرصه، وتطور رهاناته.

كما أنه أسدل الستار عن بارادايم قديم (نموذج فكري عن التغيير)؛ اختزل التغيير في السلطة والصدام، ويبدو أن القديم استنفد نفسه ومقدراته وموارده، وها نحن نتقدم تجاه عصر الشعوب والشبكات، لا عصر الأنظمة والدول! عصر الشبكات والفواعل الجديدة في التغيير؛ لذا لن يكون من الباب المبالغة قولنا إن العائق الأصيل في عملية التغيير هو "طريقة تفكيرنا" وهذه بديهة لن أعود عنها.

تبقى المقدمة فقيرة المعنى إذا لم تحدد أساس انطلاقها، وهي مقولة للفيلسوف كارل ماركس في أطروحاته عن فويرباخ "اقتصرت الفلسفة على تفسير العالم بطرق مختلفة.. لكن المهمة هي تغييره". نعم موقفنا الآن من الثقافة والعلوم والآداب أننا لسنا -أو بمعنى أدق حري بنا ألا نكون- مشاهدين أو مستهلكين، وكل هذه أدوات تغيير لا انعزال.

حول سؤال: ما العمل؟ وضمن هذا العصر الجديد الذي يشهد فرصا جديدة، وإلى المهتمين بالتغيير، وإلى الآملين فيه والحالمين به، إلى من يبحث له عن دور يتجاوز عدد المشاهدات ومسارح الجماهير، إلى هؤلاء أتوجه.

مجتمعات تضامنية

"ليست الدولة شيئا يمكن تدميره بالثورة، بل هي حالة علاقة معينة، كائنات بشرية، نمط سلوك إنساني، ونحن ندمرها بنسج علاقات أخرى، بالتصرف على نحو مغاير" جوستاف لانداور تركزت الجهود في المرحلة السابقة على تحشيد الجهود الإعلامية والبشرية للإطاحة بالسلطة؛ فحدث انسداد سياسي جرى تحييد المجتمع فيه تحييدا كاملا، ودون الخوض في تفاصيل أو تعقيدات تفسيرية؛ تكمن الخطوة الأولى نحو التغيير في استعادة المجتمع المدني وتأسيس روافع اجتماعية تسمح بديناميكيات جديدة لحيويته، وفي مثل هذه الأوقات يصبح العمل التطوعي هو ذروة العمل الثوري، فعلينا أن نضع البرامج التي تخلق بيئة العمل التطوعي؛ من قيم التضامن والتراحم والمبادرة وإسباغ المعنى التغييري عليه، وعلى ذلك يكون الاهتمام بأطفال الشوارع والأيتام والمرضى والفقراء عملا ثوريا؛ لأنه يصنع وجودا جديدا في وجود سلطة ليس لديها التزامات تجاه من تحكمه.

إن إمكان حدوث تغييرات مفاجئة يبدو أكثر احتمالا من ذي قبل، خصوصا أن دول المنطقة هشة ونظريتها الأمنية تقوم على الوجود الأمني والصور الذهنية لا تضامن المجتمع، لذا يجب أن ينصرف التركيز على ثقافة فض المنازعات ومجالس الصلح، وتخفيف آثار العنف المجتمعي الواقع عبر وجهاء أو رجال دين.

وهنا لابد أن تعاد تدريجيا ريادة دور العبادة في حل مشكلاتنا الحياتية، وعلاج الآفات الأخلاقية، وينبغي أن توضع لها البرامج التأهيلية. يجب أن تحل المشكلة من الداخل، أي تقويض أسس الفوضى التي تعتمد عليها الأنظمة في التشنيع على التغيير.

وما يهم في تلك الخطوات أن تقام المبادرات في صورة واجب فردي؛ يسهل بعد ذلك أن تقام تشبيكات جماعية ومناطقية لكن دون أن تأخذ هذه الخطوات أية عناوين سياسية، ويكون الهدف هو خلق بيئة اجتماعية

جديدة لها سمات تُخلق وتطور بنفسها ومتجذرة في الشارع، وتخلق بنفسها شروط استقلالها في الذاتي، فخيار الاستقلال عن التبعية ينبع من مجتمع مستقل تربى على ذلك.

كانت هناك لحظة تاريخية في طوفان الأقصى؛ تتعلق بالأطفال "عنوان المستقبل" لماذا تجاوبوا مع المقاطعة الاقتصادية ضد داعمي الكيان الصهيوني؟ إن المقاطعة دخلت في عمق الثقافة الشعبية لأجيال تقضي معظم أوقاتها أمام التقنية.

علينا أن نفهم هؤلاء الأطفال، أي نوع من الإنتاج الثقافي والنفسي سنقدمه لهم ليزيد من عقلانيتهم وتحررهم، لا بد وأن نعرض أنفسنا لهم في سياقات يتقبلونها.

المثقفون في عالم بلا ثقافة

لست في معرض الحديث عن ما ينقص المثقفين اليوم، بل أذكر ما الذي عليهم فعله؟ إن ما استغورته حرب طوفان الأقصى من إمكانات؛ تضعنا أمام الحاجة إلى فهم العالم ضمن مقولات سياسية واجتماعية جديدة، لكن بالأحرى ما الذي على المثقفين فعله إزاء مجتمع انعزل عنه نظامه إلى درجات غير مسبوقة؟ إن أوجاع المجتمع وتطلعاته وآلامه لا يجوز تعهيدها وإسنادها إلى سلطات ميؤوس من إنسانيتها عبر خطابات إعلامية معارضة؛ لأننا إزاء هياكل سلطة معزولة عن المجتمع، وبرلمانات تحولت إلى هيئات بصم، لذا لن نمتلك إلا أن نطرح فضاءً شبكيًا، نطرح فيه مشكلات المجتمع لا للنحيب بل لإنتاج الحلول التي تعزز من دور الفرد ودور الأسرة، ويسود في هذا الفضاء الشبكي الجديد ما يصطلح تسميته "ديموقراطية التداول". وعند هذه النقطة يبدأ التحضير للتغيير الحقيقي، فالتفاعل في حد ذاته غاية، أي أن تتفاعل شرائح المجتمع وتتعلم كيف تطرح إشكالاتها وحلولها، ويحترم كلٌّ منها رأى الآخر، وذلك يؤسس إلى كيانات افتراضية أكثر شرعية من المسرح الرسمي.

لن تستطيع أي سلطة أن تمنع تدفق الأفكار والحلول من خارج الدول إلى داخلها عبر هذه الفضاءات والديموقراطيات الجديدة، وسنكون بصدد عقلانية جديدة تُخلق من رحم التضامن؛ متجاهلة السلطة وتتراكم معها الممارسة الديموقراطية عمليا، وتطور

مفاهيم المجتمع السياسية. الآن نتحدث عن مجتمع بدأت تستنبت فيه قوى بنائية جديدة.

ليتنا نفطن الآن إلى مدى تسليع العملية التعليمية، وتدميرها، ووقوع الأسر تحت نير متطلباتها المادية، فنكوّن جيوشا من المتخصصين في كافة المجالات، وننشئ جامعات إلكترونية جديدة بمعايير دولية أو على الأقل دورات علمية مجانية، سواء كان ذلك بمجهود فردي أم جماعي، علينا أن ننتج حلولا، علينا أن نحوّل عواصمنا من عواصم استهلاك إلى عواصم ثقافية جديدة، ونسمح بتدفق الأفكار والعلوم والمعارف والوعي السليم إلى أجيال ترفض الامتثال ومحاولات التطويع الثقافي.

إن تكوين منابر لمناقشة القضايا العامة سوف يمكّن -في الأخير- هذه المنظومات الشبكية من الفوز بالمشروعية لتمثيلها المجتمع أكثر من النظام نفسه، وستسمح بميلاد نخب جديدة أكثر تأثيرا في الشارع.

المعارضة السياسية في المنفى

تعكس طبيعة الاختلافات الموجودة عند المعارضة في الخارج أزمة نخبة تعيش طواعية في الهامش ولم تدخل بعد إلى النص وإلى السياق، وأولى مراحل دخولها هو تطوير قيم فوق أيدلوجية؛ ولو بأجيال ووجوه جديدة.

فالعمل في شبكات لكونه شرط العصر لا يعني هدم التنظيمات الهرمية، كما أن توحيد مفاهيمنا واتفاقنا وتعاوننا على مبادئ فوق أيدلوجية لا يعني نسف الأيدولوجيات. فكثافة الأيدلوجيا لا تعني القدرة على تحريك الجبال، بل عدم رؤيتها وهي تتحرك.

لنبدأ إذًا بمؤتمرات وندوات وملتقيات من كافة الأطياف السياسية؛ لتحديد مضامين الفهم الذي نريده عن التغيير وعمقه، وعن المجتمعات وشروط إنضاجها، وعن خيارات التعامل مع السلطات، والقدرة على التكيف المرحلي ضمن هياكل فرص دائمة التغير، وعلى المعارضة أن توجِد قنوات للتواصل الفكري والسياسي مع الداخل؛ دون التورط في أي حراك اجتماعي لم تنضج شروطه بعد.

على المعارضة أن تترك المثالية في هذا العالم وتقرأه بواقعية تجعلنا نرى الأمور على حقيقتها، فمؤتمر دافوس قد يكون أهم من منظمات الأمم المتحدة، وقراءة العالم بوصفه وحدة واحدة تجعلنا نحصر الفواعل من غير الدول، ونقرأ العالم في مناطق ارتكازه الحضارية والثقافية والسياسية. كيف يكون لنا حضور فيها؟ هل نستطيع مستقبلا أن نكون ضمن آلة اتخاذ القرار العالمي؟ أو على الأقل أن نمارس تأثيرا عليه، يعتمد ذلك على قوة الأفكار.

فواعل جدد.. ظاهرة اليوتيوبرز

ربما يكونون حاليا أكثر تأثيرا من الإعلام الرسمي والمعارض، فهؤلاء الناس يحتكون بما هو يومي ومُعاش وواقعي في حياة الناس. ويجب الاستمرار في تعميق هذه الظاهرة باعتبارها تصنع رموزا مجتمعية خارج حدود السلطة وقدرتها على الضبط.

قدرتنا الآن على صنع الظاهرة أو التواصل معها يعني الدخول في صلب الثقافة الشعبية؛ ومن ثم خلق أنماط سلوك جديدة، وهي شبكية لا تكتفي بتكوين الذوق أو تنوير المشاهدين، بل تضع أنماطا للسلوك يعني الدخول قدما في عملية التغيير.

تحكي لنا ملابسات "مقاومة إسناد الإعلامية" أنها في غضون أسابيع وصلت إلى آلاف المشاركين، الذين من المفترض أنهم غادروا مقاعد المشاهدين في الحرب إلى خانة الفعل. قرروا أن يكونوا جزءا من المعادلة.

ما فعلته "مقاومة إسناد" لا يتعدى أنها وضعت الحقائق تحت الشمس، كما تحدثت وسائل إعلام عبرية (أنها أكلت رؤوس الإسرائيليين)، وعلينا الآن أن نحولها من مقاومة إسناد إلى قضية، وإلى ما هو أكثر استدامة.

خيار المقاطعة ليس أمرا هينا، فهو يضرب الاقتصاد العالمي في صلبه، ومفاهيم الاقتصاد تنبني على المنفعة، بينما نرى مع خيار المقاطعة أن الاقتصاد ينبغي أن يقوم على القيم، فما يعنينا ليس جودة المنتج، بل مواقف المنتج الأخلاقية هي التي تعنينا بالأساس.

يكمن دور "اليوتوبررز" في دوام تسليط الضوء على كل ما هو إنساني في المجتمعات لدعمه وترميزه، وإسباغ المعنى والقيمة عليه، وتحديد أنماط السلوك، أي خلق الموضة في عالم يربو إلى القيم.

نحو أممية جديدة

مع طوفان الأقصى تجلت قوة حضور جديدة عالميا، تجسدت في طلاب جامعات غربية وناشطين من كافة الأديان والتوجهات والمشارب، كانت لديهم قوة تحريك داخلية عجزت آلة القمع عن إيقاف حراكها، وذلك يمثل حضورا جديدا للضمير العالمي.

إن واجبنا أمام هذا الحراك الجديد لا أن نمتدحه بالأغاني والخطب، بل نتواصل معه. يجب على الجاليات العربية في الغرب أن تتعرف إلى هؤلاء؛ تمهيدا لتواصل دائم معهم؛ قائم على التخندق في مربع حماية المستضعفين. إن هذه الظاهرة تمثل أولئك "الذينَ يأمُرون بالقسْطِ منَ النَّاس" تتمثل في قوة أخلاقية تحتاج إلى مأسسة وتواصل، فنحن في عصر ينتقل فيه الناشطون للاحتجاج من دولة إلى أخرى، وقد يكون هذا التواصل بمثابة تواصل مع قادة الغرب في المستقبل البعيد، فهؤلاء طلاب جامعات عريقة في تشكيل النخب العالمية، تَفاءلْ بأن من تتواصل معه الآن قد يصبح رئيسا!

ينصح كارن روس في كتابة ثورات بلا قيادات: "وبجملة تلك الأفعال والتحركات يمكن لأفق جديد أن ينفتح لإمكان مسعى إنساني أكثر إثارة وإلهاما مما يقدمه أسلوب التفكير الراهن.. لا يجوز تمكين ساستنا المتخاصمين من تحديد قدرتنا على التعاون، نحن أكبر من ذلك بكثير، وهذه الإمكانية لا يمكن تحديدها بل تفعليها فقط".

خاتمة

إننا لم نقدم بعد لطوفان الأقصى مثلما قدم هو لنا، لقد قدم لنا أنفسنا، وقدم لنا إمكاناتنا وفرصنا للنهوض وإنضاج التجارب؛ لذا كانت لحظة الانكسار هي نفسها لحظة التحول الجديد.

إن المنطقة العربية كلها ترتهن لتغييرات مفاجئة وجذرية، لكن ما يجعل التغيير ممكنا هو قوة المجتمع، وإذا حدث تغيير؛ فإن ما يحميه هو نضج المجتمع لتحمل شروط هذا التغيير.

هكذا حاولنا في المقال تجاوز تحديات استبداد الدول بتجاهلها وصنع فرص جديدة للشعوب، وما حاولنا فعله هو تحديد ما العمل في ضوء إمكاناتنا المتاحة؛ ضمن ضرورات العصر التقني الجديد للتغلب على تحدياتنا، أو ليعاود التاريخ سقوطه.

"إذا كان الإنسانيّ في الإنسان لم يتفتت بعد؛ فإن الشر لا يستطيع انتزاع النصر" فاسيليا جرو كان في رواية الحياة والقدر

سُبل

subulmagazine.com

subul.magazine@gmail.com

facebook: subul.magazine